السُلّمُ الحجاجيُّ في أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم

وسن هاشم عودة الحريشاويّ

إشراف: أ. د. صاحب جعفر أبو جناح

The Argument scale of the Interrogative style in the Holy Qur'an

Wisan Hashim Ouda Al-Hreshawi

Supervised by Prof. Dr. Sahib Jaffar Abo Jinah

الملخص

في هذا البحث نسلّط الأضواء على السّلم الحجاجيّ أو تراتبية الحجج ومدى اعتماد أُسلوب الاستفهام في القرآن الكريم عليها في عرض حججه, ونكشف عن قوّتها الاقناعيّة في تحقيق التأثير والاستمالة للسّامع أو المخاطَب. وعليه أوضح البحث الأثر الحجاجيّ البالغ لأُسلوب الاستفهام في إقناع السّامع وإذعانه لِما يتضمَّنه الخطاب الإلهيّ من تراتبيّة وسُلّميّة الحجج من الأقوى إلى الأضعف أو الخلاف.

الكلمات المفتاحيّة: الحجاج, السُلّم الحجاجيّ, قانون الخفض, قانون تبديل السُلّم, قانون القلب.

Abstract:

In this research, we shed light on the introductions of argument in the new rhetoric theory and the extent of the interrogative style in the Holy Qur'an is launched in its light. We also reveal its persuasive power in achieving influence and appeal to the listener or addressee. Accordingly, the research clarified the profound effect of the interrogative method in persuading the listener and his acquiesce to what is included in the divine speech in the light of an introductions from which it was launched because they are postulates, ideas and common points between the dialogue parties that cannot be refuted or denied.

Keywords: Arguments, Events, Facts, Assumptions, Hierarchies

توطئة:

إنّ مسألةَ السُلّم الحجاجيّ أو المراتب الحجاجيّة للغة أخذت اهتماماً واسعاً من لدن الفلاسفة واللغويين واللسانيين وغيرهم سواء من الناحيّة اللغويّة أم البلاغيّة أو المنطقيّة؛ فهي ظاهرة لغويّة طبيعيّة مهمة. ومن هنا فإنّ الاهتمام بها أخذ صبغة خاصّة مع انبعاث الدراسات اللسانيّة ومباحث فلسفة اللغة[١]. ولعلّ أوّل من أشار إلى فكرة المراتب في اللغة هو اللسانيّ الشهير "إدوارد سابير"؛ إذ قال بمبدأ التصوّر التراتبيّ للغة في الألفاظ المتّضادّة، فقد تكون الألفاظ دالّة على معانٍ يمكن ترتيبها بين طرفين متباينين، ومثال ذلك الألفاظ المرتبة الآتية: الرمضاء والحرّ، والدفء، والفتور، والبرد، والقرس، فهذه الألفاظ تتضمّن اللفظين "الرمضاء" و"القرس" اللذين هما بمنزلة طرفين أعلى وأسفل متباينين بينهما مراتب كثيرة بعدد مستويات درجات الحرارة[٢].

وهناك ألفاظ مرتبة ترتيباً كميّاً؛ للدّالة على معان تقبل التدَّرج في اتجاه واحد، أمّا على مقتضى التزايد، أو على مقتضى التناقص مثل معايير الأوزان، وإنّ أكثر من اشتغل في هذا الضرب هما اللسانيان: الامريكي "هورن"، والفرنسي "فوكونيي"، وكذلك نجد ترتيباً للغة ترتيباً قصديّاً، وهذا النمط لا يدخل على الألفاظ وحدها، بل على الجمل أيضاً، فيكون قصد المتكلّم عاملاً في تحديد اتجاه المراتب التي تنزلها هذه الألفاظ، وأختصّ بهذا الضرب من المراتب اللسانيان الفرنسيان "ديكرو" و"انسكومبر"[٣]. و"السُلَّم" في معناه العام يحمل معنيين في اللغة العربيّة فالأوّل: (معنى ماديّ وهو الآلة التي وُضِعت قصد الصعود والتي تتعلّق بالمكان، ومعنى معنويّ يتمثّل في سُلّم المراقي في الفضائل والعلم)[٤]. وقد جاء لفظ السُلّم في القرآن الكريم يحمل معنى الصعود والارتقاء والعروج إلى السّماء في كثير من الآيات القرآنيّة التي أفادت هذه المعاني[٥]. أمّا المعنى الاصطلاحي للسُلّم، فهو معنى حجاجيّ، فقد عُرِّف بأنّه: (عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبيّة وموفيّة بالشرطين الآتيين: أ- كلّ قول يقع في مرتبة ما من السُلّم يلزم عنه ما يقع تحته؛ إذ تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال من دونه. ب – كلّ قول - كان في السُلّم- دليلٌ على مدلول معيّن، كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى عليه)[٦]. والقول بالسُلّم الحجاجيّ للغة انطلق من إقرار التلازم في فعل المحاجّة بين قول الحجّة والنتيجة، فالتلازم هنا يعني أن الحجّة لا تكون كذلك إلّا إذا أضيفت إلى النتيجة، مع العلم أنّ النتيجة قد يُصرَّح بها وقد تبقى مُضمَرة.

وعليه فالمبدأ العام الذي تتحرّك فيه نظريّة المراتب الموجَّهة توجيهاً قصديّاً مبدأ "إقرار اللازم" الّذي يحكم التتابع بين الأقوال، ويؤمّن الترابط، ويؤسّس وظيفة كلّ قول في المحاجّة، بمعنى أن مفهوم "التلازم" يحدّد الحجّة بالنسبة للمتكلّم بمرآة النتيجة، فلا يمكن الإقرار بكون القول حجّة إلّا بمنظار النتيجة المُصرّح بها، أو الضمنيّة، والخلاف صحيح، فلا يمكن إقرار النتيجة بغضّ النظر عن الحجّة، فمبدأ التلازم مبدأ عكسيّ تنتجه اللغة في سياقات ومقامات محدّدة[٧]؛ لهذا تتمظهر حجاجيّة "القول" في كونه يسدّ مسدّ الدليل المعيَّن الّذي يُفهم من السياق الذي به يقصد المتكلّمُ المخاطَبَ التصديقَ به، والنهوض للعمل على وفقه، أيّ: يقصد "إلزامه" و"التزامه معاً"، وهنا تظهر حواريّة القول وتفاعله[٨].

فالبناء الهيكليّ للسُلّم الحجاجيّ يقوم على حجج عدّة، ومتفاوتة في القوّة الحجاجيّة، ذات علاقة تسلسليّة؛ لتؤدي إلى نتيجة معيّنة، قد تكون ظاهرةً وقد تكون مُضمَرةً يستنبطها المتلقّي من سياق الحجج التي أُلقيت عليه؛ وعليه فقد كانت السلالم الحجاجيّة من أهمّ آليات الإقناع التي تؤدي إلى بيان مقاصد الآيات القرآنيّة وإحداث الأثر المطلوب في نفوس السّامعين وشدّ انتباههم وترسيخ المعنى المقصود في أذهانهم؛ لدفعهم إلى العمل به وامتثاله إليه؛ وكذا الحال في سورة الضحى: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨)} الضحى: ٦ – ٨. في هذه الآية ثلاث حجج، وكلّها تخدم

نتيجة واحدة، وقد أطلق على مجموع هذه الحجج "الفئة الحجاجيّة"[٩]، أو "القسم الحجاجيّ"[١٠]، أو "الوجهة الحجاجيّة"[١١]. والغايّة من كلّ ذلك هي تحديد الوضعيّة المقاميّة للمتكلّم، فضلاً عن ذلك إضفاء المصداقيّة على النتيجة من دون عدِّها حجّة حاسمة، فالحجّة ليست هي البرهان[١٢].

وعليه فأهمية السلالم الحجاجيّة تكمن أساساً في إخراج قيمة القول الحجاجيّ من حيّز المحتوى الخبريّ للقول الخاضع لشروط الصدق المنطقيّ إلى قول حجاجيّ ذي وجهة حجاجيّة استدلالية تحدّد قيمته بكونه يدعم نتيجة ما[١٣]. فالحِجاج عند "ديكرو" قائمٌ على علاقة دلاليّة تربط بين الأقوال، فيقدّم المتكلّم قولاً، أو مجموعة أقوال على أنّها حجّة، يستهدف منها حمل المتلقّي على قبول قولٍ آخر، أو مجموعة أقوال على أنّها نتيجة، وهذه الألفاظ أو الحجج متفاوتة من حيث قوّتها الحجاجيّة، ومن حيث إمكاناتها الإقناعيّة الاستدلاليّة، ومن هنا نفهم مفهوم السُلّم الحجاجيّ، أو مفهوم المراتب الحجاجيّة، فالحجج اللغويّة ليست متكافئة ولا متماثلة، وتخالف في هذا البراهين المنطقيّة والرياضيّة، فالحجّة اللغويّة لها قوّة معيّنة، وتحتلّ مرتبة من المراتب الحجاجيّة، فهناك الحجج القويّة والحجج الأقوى، وهناك الحجج الضعيفة والحجج الأضعف[١٤]، وبذا فالسُلّم الحجاجي هو علاقة ترتيبيّة للحجج[١٥].

وقد مثّل ديكرو لهذا السُلّم بالخطاطة الآتية[١٦]:

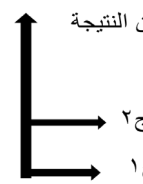

إذ ترمز"ج٢" للحجّة الأقوى، وترمز "ج١" للحجّة الأقل، ويقترن السُلّم الحِجاجيّ بمفهوم "التوجيه"؛ ليختصا معاً بالعمليّة الحجاجيّة[١٧]، وهذه العلاقة هي محور الربط بين الحجّة والنتيجة، التي تختلف اختلافاً جذريّاً عن علاقة الاستلزام أو الاستنتاج المنطقيّ، ويرمز لها على النحو الآتي[١٨]:

ج ⟵ ن

وهذه العلاقة الحِجاجيّة بين الحجّة والنتيجة تتسم بخاصيّة أساس تؤكّد سُلّميّة اللغة الحِجاجيّة، إذ يجب أن تكون دَرَجيّة (Scalaire)، أو قابلة للقياس بالدرجات، أيّ: تكون واصلة بين سلالم[١٩]؛ وبهذا ندرك أنّ "ديكرو" وضع سُلّماً حجاجيّاً تخضع فيه الأقوال إلى قوانين نعتها بقوانين (السُلّم الحِجاجيّ)، ووصفها في بداية دراسته للسُلّم الحِجاجيّ بأنّها عبارة عن أقوال، لكنّ تصوّره الجديد أفضى إلى أنّها عبارة عن عنصر دلاليّ يقدّمه المتكلّم لصالح عنصر دلاليّ آخر، والحجّة بهذا قد تكون فقرة أو نصّاً[٢٠].

ويتّسم السُلّم الحِجاجيّ عند "ديكرو" بالآتي:

- كلّ قول يرد حجّة في درجة ما من السُلّم، يكون القول الذي يعلوه حجّة أقوى منه بالنسبة إلى النتيجة "ن".
- إذا كان القول "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن" فهذا يستلزم أنّ "ج" أو "د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها والعكس غير صحيح[٢١]، فإذا أخذنا الجمل الآتية:
- حصل زيد على شهادة الإجازة
- حصل زيد على الماجستير
- حصل زيد على الدكتوراه

فهذه الجمل تتضمّن حججاً تنتمي إلى الفئة الحِجاجيّة نفسها، وتنتمي كذلك إلى السُلّم الحِجاجيّ نفسه، فكلّها تؤدي إلى نتيجة مُضمرة من قبيل "كفاءة زيد" أو "مكانته العلميّة"، ولكنّ القول الأخير هو الذي سيرد في أعلى درجات السُلّم الحِجاجيّ، وحصول زيد على الدكتوراه هو أقوى دليل على كفايته العلميّة"؛ إذ إنّ (كلّ فئة حِجاجيّة تتحدّد بنتيجتها المشتركة)[٢٢]؛ وعلى هذا تكون الفئة الحجاجيّة للجمل الثلاث مقيّدة بالمدلول أي: النتيجة "كفاية زيد"، ويمكن الترميز لهذا السُلّم بالآتي[٢٣]:

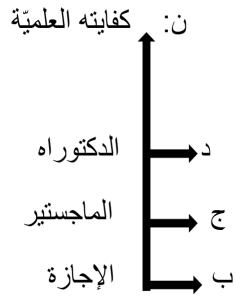

وتراتب هذه الحجج وتدّرجها من الأعلى إلى الأسفل ومن القوّة إلى الضعف هو الذي يمنحها تلك الطبيعة السُلّمية، ومن خلال ذلك يتّضح أنّ الحجج ليست مطلقة كما أنّها لا تتساوى بل تتدّرج قوّة وضعفاً[٢٤].

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا التّراتب الحُججي ليس معزولاً عن المحدِّدات البلاغيّة والعقليّة والسياقيّة التي يَتوصَّل بمقتضاها إلى النتيجة المقترحة والمنبثقة عن كلّ من الحجّة والنتيجة، و إلى ما قد دُعِما ببعض المؤكّدات البلاغيّة واللغويّة التي تجعل الشكّ في النتيجة مُستبَعداً[٢٥]. فالحجج التي تثبت نتيجة واحدة تتصف بما يأتي:

- التدرّج بين الحجج، وهذا يستلزم التعددّ المحكوم بـ"مبدأ التلازم".
- الحجج وعلاقتها بالنتائج وهذه الصفة محكومة بمبدأين:

الأوّل: مبدأ القوّة الحجاجيّة: وهي أن تكون الحجّة الثّانية أقوى من الحجّة الأوّلى في تدعيم النتيجة.

الثّاني: مبدأ التعارض الحجاجيّ: وهي أن تكون الحجّة الثّانية تتجه إلى نقض الحُجّة الأوّلى[٢٦].

قوانين السُلّم الحِجاجيّ:

إنّ السُلّم الحجاجيّ له ثلاثة قوانين، هي:

- قانون الخفض: ومقتضاه: إنّه إذا صدق القول في مراتب معيّنة من السُلّم، فإنّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها[٢٧]. وهو عند "ديكرو" يُعرف بقانون النفي ويقصد بالنفي "النفي الوصفيّ"، أي: النفي الذي يقع على حالة الأشياء في الكون من دون "النفي الجدليّ"، ومن أبرز الظواهر التي يكشف عنها النفي أنّ المتكلّم متى ما استخدم حجّةً ما؛ ليخدم بها نتيجة معيّنة، فإنّ الحجّة نفسها تكون لصالح النتيجة المضادّة[٢٨]، ومثاله قوله تعالى:{مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ(٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ(٤٧) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ(٤٨)} المدّثر: ٤٢ - ٤٨.

هنا سؤال توبيخ، يطّلع أهل الجنّة على أهل النّار فيقولون لهم: ما أوقعكم في النّار؟ أي يسألونهم عن ذنوبهم التي استحّقوا بها النّار، وهذه النتيجة، دُعمت بإقرارهم بأربعة أعمال مثّلت حججاً عليهم، ونقض هذه الحجج يكون لصالح النتيجة المضادّة.

- كنا نصلّي "الصلاة الواجبة".
- كنا نطعم المسكين من الأموال الواجبة "الزكاة".
- كنا لا نخوض مع الخائضين.
- كنا لا نُكذِّب بيوم الدين.

وهذه النتيجة المضادّة (إنّهم في جناتٍ ونعيم)؛ لأنّ من استحقّ جهنم بهذه الأعمال استحقّ "الجنّة"؛ بتركه هذه الأعمال، وهذا التشارط بين "ح١ + ح٢ + ح٣ + ح٤" و "ن" لا يخالف التعامل الطبيعيّ للمتكلّم، بل يخالف الاستلزام الماديّ الذي لا يقيم علاقة تشارط بين الحجّة والنتيجة[٢٩]، و(بهذا فكلّ دليل يستلزم منطقيّاً ما يقع تحته من أدلّة)[٣٠].

- قانون تبديل السُلّم: ويُعرّفهُ د. طه عبد الرحمن بأنّه (إذا كان القول دليلاً على مدلول معيّن، فإنّ نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله)[٣١]، ونفهم من هذا القانون أنّ نفي أحد الأدلّة أو الحجج هو نفي لمدلول الخطاب، ولكنّ قوّة النفي تترتّب ترتّباً عكسيّاً؛ إذ إنّ نفي ما يقع في أدنى السُلّم، هو نفي أقوى لمدلول الخطاب، وهو القانون الثّالث الذي أطلق عليه د. طه عبد الرحمن "قانون القلب".

- قانون القلب: ومقتضى هذا القانون (إنّه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معيّن، فإنّ نقيض الثّاني أقوى من نقيض الأوّل في التدليل على نقيض المدلول)[٣٢]، فالحجّة التي كانت

في قانون الخفض أدنى الحجج في السُلّم الحِجاجيّ أصبحت في قانون القلب أقوى الحجج للدلالة على المدلول نفسه.

وبناء على ذلك فإنّ قوانين السُلّم الحِجاجيّ ليست شيئاً خاصّاً بحجّة دون أُخرى، بل إنّ القانون يتحدّد بحسب وجهة نظر المخاطَب، وقصد المخاطِب في ذلك الترتيب أو المفاضلة في الحجج، وقد يختلف نوع القانون الذي تنتمي إليه الحجج داخل الخطاب نفسه في ترتيبها بين المخاطِب والمخاطَب، بوجهة نظر تعاكس الأُخرى[٣٣]. فقد يكون قصد المتكلّم وضع الحجّة في أعلى السُلّم، بينما يرى المتلقّي الحجّة نفسها، لكنّها عنده في أدنى السُلّم؛ لذلك فهي تُحكم بالقرائن والسياق، والمقام المحيط بها؛ ليتجلّى القصد الحقيقي، أو المعنى والنتيجة التي يتوخّاها المتكلّم، ولكنّه يستند إلى أدوات لغويّة وآليات شبه منطقيّة؛ ليحقّق غاياته الحِجاجيّة من الخطاب، أو في وضعها في درجة معيّنة من السُلّم الحِجاجيّ من حيث سماته الدلاليّة أي: الأدنى والأعلى من حيث القوّة الحِجاجيّة. فالحجاج مؤسّس على بنية الأقوال اللغويّة، وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب[٣٤].

وقد ميّز "ديكرو" بين نوعين من الأدوات اللغويّة التي تحقّق الوظيفة الحِجاجيّة، وهما: الروابط الحِجاجيّة، والعوامل الحِجاجيّة.

وحدّ الروابط الحجاجيّة: هي مكوّنات لغويّة تداوليّة تربط بين قولين أو أكثر داخلين في استراتيجيّة حجاجيّة واحدة، بحيث تسمح بالربط بين المتغيّرات الحجاجيّة بين حجّة ونتيجة، أو بين مجموعة من الحجج[٣٥].

أمّا حدّ العوامل الحجاجيّة فهي: عناصر لغويّة إسناديّة نحويّة أو معجميّة، كالحصر والنفي والشرط، وغيرها، ووظيفتها هي حصر الإمكانات الحجاجيّة لمحتوى الملفوظات وتحويلها[٣٦]، وهنا نجد تغاير وتمايز العامل عن الرّابط الحِجاجيّ؛ فالعامل لا يربط بين متغيّرات حِجاجيّة أي: بين "حجّة" و"نتيجة"، ولا ينتج عنه "علاقة حِجاجيّة"، بل يقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجيّة التي تكون لقول ما، ومثالها: ربّما، وتقريباً، وكاد، وكثيراً، وقليلاً، وما...إلّا، وغيرها[٣٧]، وله ثلاث وظائف حِجاجيّة هي:

- القضاء على تعدّد الاستلزامات والنتائج.
- قدح المواضع وتنشيطها؛ للاتكاء عليها في استخلاص نتائج معيّنة.
- تقويّة التوجيه نحو النتيجة[٣٨].

وعليه سنبحث عن أثر الأدوات اللغويّة بوصفها روابط وعوامل حجاجيّة، في أُسلوب الاستفهام في القرآن الكريم على وفق سُلَّميّة اللغة الحِجاجيّة.

أمّا الرّوابط الحِجاجيّة: فهي من الأدوات اللغويّة التي لها أثرٌ في الربط بين الحجج، وترتيبها على وفق درجات بوصفها حججاً في الخطاب، ومن هذه الروابط:

١- الرابط "لكن":

هو من الروابط التي تسوق الحجج، وتكون الحجّة بعدها أكثر قوّة من الحجّة التي قبلها، وهي التي نعنيها حين نريد إدراج الحجج في سلّم حِجاجيّ واحد أي: النتيجة نفسها لجميع الحجج المدرجة، لكن بدرجات متفاوتة تصبّ جميعها في خدمة النتيجة المتوخّاة في القول برمّته، وليست "لكن" التي تدرج حججاً متعارضة[٣٩]. ومثال "لكن" في قوله تعالى: {أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ(١٩) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ(٢٠)} الزمر: ١٩ – ٢٠.

في هذه الآيات يخاطب الله تعالى نبيّه؛ ليخفّف عنه حزنه على عناد قومه وشدّة جحدهم، فيبصّره الله تعالى بأنّ مهمته التبليغ، وأمّا غرس الإيمان في قلوب النّاس فهو أمر راجع لهم بمحض إرادتهم وليس بمقدور أحد أن يسلبهم حقّ الاختيار غير الله سبحانه، والله تعالى هو الذي شاء أن لا يفرض عليهم الاختيار كي يكون ذلك حجّة عليهم، لذا علّل الله تعالى لنبيّه حجّة هذا التبصير بالأمر[٤٠]، أن جعل للناس جزاء ونتيجة لِما يختارون بمحض إرادتهم من الإيمان أو الكفر، فكان لهذا الأمر أثر بالغ في مواساة النبيّ

وتهدئة حزنه، فلا يحمّل نفسه المشاقّ من أجل هداية قومه، بل التبليغ فقط، وفي الوقت نفسه هو إبلاغ، وبيان، وتنبّيه للناس كافة إنّ لكلّ عمل جزاءً، ولكلّ قوم عاقبةً، فمن آمن وعَبدَ الله سبحانه حقّ عبادته؛ فالجنّة مأواه، ومن كفر وعصى؛ فالنّار مأواه، فساق الله تعالى هذه الحجج في أُسلوب استفهاميّ متعدّد، لكنّه يدعو أو يصبو لنتيجة واحدة تنتمي للفئة الحجاجيّة نفسها، ولكنّها جاءت في تراتبيّة سُلّميّة من حيث قوّة الأثر في تأكيد حقيقة تلك الحجج، ولتنبيه السّامع إلى خطرها وما يُمكن أن تؤول إليه لو لم يأخذ بها، فيتفكّر ويتدبّر، ومن ثمّ يفعل ما وجّهه إليه تأثير ذلك القول.

فأوّل هذه الحجج هي قوله سبحانه: {أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ} الزمر: ١٩، فهنا استفهام إنكار لهداية و إنقاذ من حقّ عليه العذاب؛ نتيجة لاختياره الكفر على الإيمان، ثمّ يدرج الله تعالى ما يقوّي تلك الحقيقة أو النتيجة، بحجّة أخرى.

والحجّة الثّانية: {لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ}: الزمر: ٢٠، فلتأكيد النتيجة التي يصبو إليها الله تعالى في نفس السّامع أتى بالرابط(لكن)الّذي تكون الحجّة بعده أقوى أثراً وأشدّ وقعاً في النفوس وتحقيق الإقناع في بيان أنّ الله تعالى حُكمه العدل، فلا يعاقب أحداً إلّا بما فعل، فمن كانت هذه أحواله وافعاله في الدنيا حقّ عليها العذاب أي موجبة للحُكم عليه بالعذاب في النّار، فجاء بما يؤكّد هذه الحقيقة فأدرج حجّة تكون متعارضة مع العذاب، لأنّها تبيّن حقّ الفريق الآخر الّذين أحوالهم في الدنيا أوجبت لهم ذلك النعيم الذي جاء بعد الرابط (لكن)، فيكون الذين أتّقوا ربّهم وآمنوا، فيكون جزاء فعلهم واختيارهم الإيمان أنّ لهم غرفاً في الجنّة طبقات تجري من تحتها الأنهار، وهو وعد الله تعالى فلا يخلف الله وعده. وبهذا تكون قوّة (لكن) في الإقناع والتأثير في النفوس أعمق وأشدّ، فتجعلها في أعلى السُلّم الحجاجيّ؛ إذ جاء بعدها ما جعل قلوب الكافرين تشتد حزناً وخوفاً ممّا وعد الله تعالى به الكافرين، وشوقاً وسعياً لِما وعد به المتّقين المؤمنين. وهذا هو حُكم الله سبحانه العدل الذي لا يُظلَم عنده أحد.

٢- الرابط "حتّى":

هو من أدوات السُلّم الحجاجيّ وتأتي هنا بمعنى "إلى أن"؛ إذ تستعمل في الخطاب للدلالة على أنّ ما بعده أقوى الأجزاء، وعندما تكون جارّة لا عاطفة، فيدخل ما بعدها في حُكم ما قبلها ويكون جزءاً منه[٤١].

ومثاله في قوله تعالى: {يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥)} الحديد: ١٤ - ١٥.

إنّ الاستفهام في هذه الآية مرتبط بما قبلها، وهو استفهام تقريريّ، وهنا جاء في معنى جواب السؤال كأنّه قيل: فماذا يفعل المنافقون والمنافقات بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب من ظاهره؟ فجاء الجواب: {يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ...}؟ الحديد: ١٤. أي: كونهم في الدنيا كانوا مع المؤمنين والمؤمنات في ظاهر الدين. فيأتي الجواب من المؤمنين لهم بقولهم كحجّة أوّلى:{بلى} الحديد: ١٤، أي: بلى كنتم معنا في الدنيا، وهذا الجواب هو أوّل سبب لنتيجة هلاك المنافقين والمنافقات في نار جهنم، ثمّ يبدأ المؤمنون بسرد حجج أو أسباب تُفسّر لهم عدم وجودهم مع المؤمنين في الحياة الآخرة، فيقولون لهم حجّة ثانية: {وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ} الحديد: ١٤ ، أي: أهلكتم أنفسكم، ثمّ يدرج حجّة ثالثة: {وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ} الحديد: ١٤ أي: تربّصتم بالدين وأهله، ثمّ يعقبها حجّة رابعة: {وارْتَبْتُم} الحديد: ١٤، أي: شككتم في دينكم، ثمّ حجّة خامسة: {وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ} الحديد: ١٤، أي: أمنيتكم أن الدين سيُطفأُ نورُه ويتركه

أهلُه، فأدرج حجّة سادسة بقوله: {حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ} الحديد: ١٤، أي: جاء الموت، ثمّ أُخرى سابعة: {وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ} الحديد: ١٤، أي: غرّكم الشيطان[٤٢]. ثمّ تأتي النتيجة بعد الرابط الفاء: {فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} الحديد: ١٥.

فنلحظ في جواب المؤمنين استراتيجيّة حجاجيّة في إيراد الحجج أو الأدلّة، فبعد أن أجابوهم بتأكيد وجودهم معهم في الدين في عالم الدنيا، وهذا الجواب يستلزم أن يكون حجّة لنتيجة أن يكونوا معهم في الآخرة أيضاً، ولكن لأنّهم كانوا معهم في المعية الظاهريّة في الدين فقط، لذا أعقبوا جوابهم بحجّة تعارض النتيجة المتوخّاة التي يريدها المنافقون، وذلك بفضل الرابط (لكن)، فعلى الرغم من كونها من أدوات تنسيق الخطاب، إلّا أنّ لها وظيفة تداوليّة مختلفة، وهو أنّها تجعل للوحدة التي تليها فعلاً مضاداً؛ ولأنّ هذا الدور مؤسّس على معناها المضادّ؛ إذ لا تنسّق "لكن" بين الوحدات الوظيفيّة إلّا إذا كان هناك شيء من العلاقات المتضادّة في محتواها الذهنيّ أو التفاعليّ[٤٣].

وعليه فـ(لكن) جاءت بعدها حجّة نتيجتها تعارض نتيجة الحجّة الأوّلى أو الجواب الأوّل من قول المؤمنين، لكنّها تخدم وتنسجم مع النتيجة المقصودة من القول أو الجواب كلّه ، فالحجّة بعد (لكن) تقوّي الحجّة التي قبلها؛ فهي من ضمن جواب المؤمنين عن سؤال المنافقين، والدليل أنّها مسبوقة بالرابط حرف العطف (الواو)، فـ(لكن) أدرجت حجّة أقوى من سابقتها في دعم النتيجة من القول برمّته، وفي الوقت نفسه دحضت النتيجة التي يريدها المنافقون ونفتها، وجاءت بعدها الحجج التي تثبت، وتقوّي، وترسّخ، وتعلّل أسباب دحض نتيجة المنافقين، فجعل آخر حجّة أقوى الحجج بفضل الرابط (حتّى)، فهي هنا جارة بمعنى "إلى أن" أي إلى أن جاء الموت، وهكذا تكون هذه الحجج كلّ واحدة أقوى من سابقتها في إحداث الأثر في نفس المنافقين وإقناعهم بصحّة استحقاقهم للنتيجة التي هي نتيجة لحقيقة عملهم ونواياهم في دار الدنيا، التي أدرجها المؤمنون في جوابهم في سُلّم حجاجيّ تصاعديّ من حيث القوّة الحجاجيّة؛ ليكون مأواهم النّار وبئس المصير. ونُمثّلها بالسُلّم الحجاجيّ الآتي:

ن: فاليوم لا يؤخذ منكم فدية.... ومأواكم النّار هي مولاكم وبئس المصير

ح٧: وغرّكم بالله الغَرُورُ

ح٦: حتّى جاء أمر الله تعالى

ح٥: وغرّتكم الأمانيُّ

ح٤: وارتبتم

ح٣: وتربّصتم

ح٢: ولكنّكم فتنتم أنفسكم

ح ١: بلى

٤- الرابط "الواو":

هي من أهمّ الأدوات اللغويّة التي تحقّق الوظيفة الحِجاجيّة والتواصليّة للخطاب[٤٤]؛ بترتيبها للحجج ووصل بعضها ببعض، ونسجها في خطاب واحد متكامل؛ إذ تفصّل مواضع الحجج، بل تقوّي كلّ حجّة منها الأُخرى[٤٥]، فهي تربط بين القضايا التي لها معنى دلالي معيّن، لكنّها متفاوتة في قوّة تأثيرها بالنتيجة المعطاة، فتأتي "الواو"؛ لتربط بين تلك القضايا ارتباط اللاحق بالسابق، وهي كما تأتي مُدرجة للحجج؛ لتقويتها، فكذلك تأتي مُدرجة للنتائج، وهكذا يكون توجيهها حجاجيّاً؛ من أجل تحقيق الإقناع[٤٦].

فـ"الواو" تؤدي دوراً مهما في ترتيب الحجج وتسلسلها في الخطاب، وهي من أكثر الروابط الحجاجيّة وروداً في الخطاب القرآنيّ؛ لِما لها من قوّة حجاجيّة في التأثير في تنظيم وتنسيق وانسجام المعاني المقصودة في الخطاب، حتّى يتمكّن السّامع من الانتباه لها وإدراك غاياتها، ومن ثمّ إحداث الأثر في توجيه ذهن السّامع وحسّه لينجز ما ترتّب عليه ذلك التأثير من أفعال. ومثال حجاجيّة الرابط "الواو" العاطفة في القرآن الكريم في قوله تعالى: {قُلِ ادْعُوا

الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ} سبأ: ٢٢، هنا جواب لسؤال مُضمر لمّا كان عبدة الأصنام يرون أنّ أصنامهم ستشفع لهم، ويعبدونها ظنّاً منهم أنّها تقرّبهم من الله تعالى زلفى، فجاء ردّ الله تعالى عليهم لبيان حقيقة هذه الأصنام، وبيان سفه عقولهم وقلّة فطنتهم، حتّى يعبدوا ما يصنعوه بأيديهم، وجواب الله تعالى يمثّل حقائق ساقها الله تعالى بسلسلة مترابطة من الحجج أو الأدلّة وتناسق من حيث التفاوت في قوّتها الاقناعيّة التي تدعو جميعها إلى نتيجة واحدة، وهي إثبات حقيقة الأصنام وعجزها، وتأكيد وحدانيّة الله تعالى وقدرته، ومصير من أنكر هذه الحقائق، وحدث هذا الترابط الحجاجيّ بوساطة الرابط "الواو" العاطفة، في ربطها السابق باللاحق وجعله يؤدي لنتيجة واحدة أو إثبات حقيقة واحدة هي التي سيقت تلك الحجج لإثباتها. فكانت هذه الحقائق تمثّل صورة ناطقة عن سُلّميّة أو تراتبيّة العمليّة الحجاجيّة في هذه الحقائق تقنيطاً للمشركين من أصنامهم، ولتأكيد هذه الحقيقة جاء بحجج تدعمها، و نمثّلها بالآتي:

ح١: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ} سبأ: ٢٢. في هذه الحجّة أمر الله تعالى نبيّه "صلّى الله عليه وآله وسلّم" بأنّ يطلب من المشركين تقديم دليلهم على ما ادّعوه من ألوهيّة أصنامهم وقربها من الله تعالى ليتّخذوها زُلفة له. فهي تثبت عدم استجابتها لدعائهم لو سألوها عن شيء من حوائجهم[٤٧]. ثمّ يعقبها بحجّة أخرى تؤكّد بطلان دعواهم فجاء بالرابط "لا النافية" لقوّتها الحجاجيّة في نفي زعمهم وتأكيد بطلانه فتكون:

ح٢: {لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ} سبأ: ٢٢. هذه الحجّة وقعت موقع الجواب، كأنّهم قيل لهم: ماذا يكون إذا دعوهم؟ فقيل: لا يستجيبون لهم بشيء؛ لأنّهم لا يملكون أيَّ شيء ولو كان مثقال ذرة، فصُغر حجم الذرّة وعدم امتلاكهم لها، هو حجّة قويّة في إنزال اليأس في قلوب المشركين في قلّة حيلة ما يعبدون وعدم ملك أصنامهم لشيء في السماء، فهذا يؤكّد أنّ أيّ مدد سماوي من غيث، أو ضياء شمس، أو قمر، أو أيّ أمر من السماء، فليس لهم فيه شيء، وهذا دليل أقوى على غبائهم، فكيف تكون آلهة وأرباباً وهي لا تملك شيئا قط؟!!! [٤٨]. ثمّ تأتي حجّة أقوى لترسيخ هذا التأييس في سياق تتابعي بعد الرابط "الواو"، وذلك تأكيداً لقلّة حيلة أصنامهم فتكون:

ح ٣: {وَلَا فِي الْأَرْضِ} سبأ: ٢٢، وكذلك لا يملكون مثقال ذرّة في الأرض التي تعيشون عليها، فأيّ خير أو شرّ أو نفع أو ضرّ على هذه الأرض تقدر أصنامهم جلبه لهم أو دفعه عنهم، فما هذه الآلهة التي يعبدون؟؟؟ تفكّروا أيّها الناس لعلّكم تهتدون. ويعزّز هذا التأييس والعجز بحجّة أُخرى فتكون:

ح ٤: {وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ} سبأ: ٢٢. أي: إذ لم يكونوا يملكون مثقال ذرّة في السماوات ولا في الأرض منفردين بملكه من دون الله تعالى، ولا لهم ما يملكونه على وجه الشراكة؛ لأنّ الأملاك في المملوكات لا تكون لمالكها إلّا على أحد الوجهين: إمّا مقسوماً، وإمّا مشاعاً، فإذن هم لا يملكون وزن ذرّة لا في السماء ولا في الأرض لا مشاعاً ولا مقسوماً، فكيف يكون من كان هكذا شريكاً لله تعالى الذي له ملك جميع ذلك[٤٩]. فهذه الحجّة أكثر تسويغاً وتفصيلاً من سابقتها؛ لتنبيه عقول المشركين من غفلتهم وعنادهم. ثمّ يأتي بحجّة أو دليل أكثر أثراً في تأكيد هذه الحقيقة وعدم وجود أيّ زُلفى أو علاقة بين الله تعالى وهذه الأصنام، حتّى يتّخذوها شفيعاً يقرّبهم إلى الله تعالى، فيقطع أيّ دليل على ذلك فيقول:

ح٥: {وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ} سبأ: ٢٢. أي: ليس لله سبحانه من آلهتهم مُعين يُعينه فيما يُفترَض فيه عجزه عن القيام بأمور تدبّره.

إذن فالنتيجة: نفي المُلك لآلهتكم المترتّب على إثبات عدم استجابة الدعاء وعدم مُلكها لشيء في الأرض والسماء أو على وجه شراكتها مع الله تعالى أو أن يكون منهم معينٌ لله سبحانه مع أنَّه ليس لها في هذه السماوات ولا في الأرض من شيء، وليس لها منزلة

عند الله تعالى قط[٥٠]، فمع هذه السُلّميّة في الحجج البالغة، فكيف يعبدونها ويزعمون أنّها تقرّبهم إلى الله تعالى زلفى؟!.

وعليه فإنّ هذه الحجّة أدّت إلى بطلان ما ادّعاه المشركون في تدرّج حجاجيّ بالغ الأثر بوساطة الرابط "الواو"، وفي الوقت نفسه أدّت إلى توجيههم وتوجيه الناس أجمع، ودفعهم إلى ترك الأصنام وعبادة الله تعالى دون سواه.

٤- الرابط "إذ": هو من الروابط اللغويّة التي لها وظيفة حجاجيّة في تراتبيّة الحجج. ومثاله في قوله تعالى: {قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ} {سبأ/٣٢}

جاءت هذه الآية جواباً عن سؤال مُضمَر وهو: ماذا قال الذين استكبروا بعد أن اتّهمهم الّذين استُضعِفوا بأنّهم هم الّذين صدّوهم عن الإيمان بالله سبحانه وتوحيده[٥١]؟.

فالحجّة الأوّلى: {أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ} سبأ:٣٢، وهي تمثّل الجواب، لكنّه جاء بصيغة الاستفهام؛ لأثره البارز في جعل من اتّهموهم يشاركونهم في إنكارهم لهذا الاتّهام، فهم ينكرون وينفون أن يكونوا هم من صدوهم عن الهدى، فأدرجوا حجّة ثانية هي: {بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢)} سبأ: ٣٢، وهي حجّة تقوّي هذا الإنكار وفي الوقت نفسه تأتي بصفة حجّة تعارض حجّتهم وتثبت نتيجة عكسيّة، أي إنكارهم ونفيهم، وتعلّل السبب الحقيقيّ في عدم هدايتهم بفضل الرابط (إذ)؛ فله وظيفة حجاجيّة في بيان قوّة الحجّة التي جاءت في سياقها؛ عن طريق بيان سببها وإشارة لقوّة هذا السبب جاء بعدها الرابط (بل)؛ لينقلنا لحجّة تحدث الأثر البالغ في النفس تثبت عكس ما ادّعاه هؤلاء المستضعفون، فتكون أقوى الحجج هي التي بعد (بل)، فتكمن قوّة (بل) في إقامة علاقة حجاجيّة مركّبة في الأصل من علاقتين فرعيتين تسيران في اتّجاه النتيجة المضادّة[٥٢]، أي أن قوّة (بل) في إحداث الإقناع كمنت في مجيئها بالحجّة (كنتم مجرمين)، فتكون نتيجتها هي: أنّهم ضلّوا عن الهدى ولم يؤمنوا بسبب جرمهم، وهذه النتيجة هي مضادّة لنتيجة الحجّة التي ادّعاها المستضعفون لضلالهم، وهي: إنّ المستكبرين هم من صدّوهم عن الهدى بسبب ضعفهم عن مخالفتهم، وعدم قدرتهم على معاندتهم، وهذه الحجّة تكون نتيجتها (أنَّ المستضعفين ضلّوا عن الهدى ولم يؤمنوا؛ بسبب المستكبرين وبطشهم)، فجاءت (بل) ودحضت هذه النتيجة، وأثبتت نتيجة عكسيّة؛ لذا ساقها المستكبرون في حجاجهم؛ لدفع التّهمة عنهم في كفر المستضعفين وجعلهم هم وحدهم من يتحمّلون وزر ضلالهم؛ لأنّهم كانوا مجرمين. فكانت حجّة دامغة؛ لذا تكون في أعلى السُلّم الحجاجيّ؛ إذ أسكتت أفواه المستضعفين، وبيّنت حقيقتهم في عدم الإيمان. فتكون النتيجة تنبّيه السّامع على أن يتفكّر فيما يعبد ولا يتّبع أحداً دون دليل أو بيّنة؛ لأنّه وحده هو من يتحمّل نتيجة ما يفعل.

٤- الرابط "بل":

هو حرف إضراب يدخل على المفردات والجمل[٥٣]، وما يهمنا هو دخوله على الجمل، أو الانتقال من غرض إلى آخر مِن غيرِ إبطال الكلام السابق، فهي هنا بمعنى "لكن"؛ إذ تربط بين حجّتين متعارضتين، ولكن الحجّة التي تأتي بعد "بل" هي أقوى الحجج في السُلّم الحجاجيّ. ومثاله في قوله تعالى:{وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢)} البقرة: ٨٠ - ٨٢.

هذه الآية جاءت في سياق الحديث عن اليهود، ولجاجتهم ونفاقهم، فعبثوا في أمور الحياة

الدنيا وخالفوا الحقّ واتّبعوا الباطل بما يخدم مصالحهم وأهواءهم. ومن شدّة جهلهم وتطاولهم على الله تعالى اتّخذوا من أنفسهم قضاة في أمور الحياة الآخرة فادّعوا أنّهم إذا دخلوا النار فلن تمسّهم إلّا أياماً معدودة، وهذا الأمر لم يُعرف لطائفة غير طائفة اليهود الضالّين. فجاء الردّ من الله سبحانه وتعالى، فأمر نبيّه "صلّى الله عليه وآله وسلّم" أن يواجههم به؛ فيطلب منهم البيّنة التي تثبت صحّة دعواهم، وإن لم يكن لهم دليل صادق فدعواهم باطلة، فيكون ذلك حجّة ودليلاً داحضاً لإثبات كذبهم في تراتبيّة حجاجيّة من حيث قوّة التأثير في تأكيد كذبهم ونفي ادّعائهم، وجاءت هذه الحجج باستفهام إنكاريّ، يحمل من الأدلّة النقليّة والعقليّة؛ لتطويق دعوى اليهود الباطلة من كلّ جهة، وفضحهم على رؤوس الاشهاد[٥٤].

فالحجّة الأوّلى:{قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا} البقرة: ٨٠، وقوّة الأثر الحجاجيّ لِما أنكره الله تعالى عليهم في هذه الحجّة تمثلت باستفهامه بـ"حرف الهمزة"؛ لأثرها الإقناعيّ الذي تفرّدت به عن غيرها من أدوات الاستفهام؛ إذ (المسؤول عنه بها هو ما يليها)[٥٥].

فالله تعالى أنكر وقوع الفعل فقط، أي فعل أخذ اليهود العهد منه سبحانه، وليس إنكاراً للقول كلّه الذي جاءت الهمزة في صدارته، وتأكيد ذلك أنّ تكملة القول تُعدّ نتيجة بفضل الرابط "الفاء السببيّة" بقوله تعالى:(فلن يُخلِفَ اللهُ وعده)البقرة: ٨٠، فـ(لن) كما نعرف أداة تفيد نفي الماضي والمستقبل معاً، وتصدَّرت الجزء الثّاني من القول؛ (لإفادتها النفي المؤكَّد المستغرق لآماد طويلة من أزمنة المستقبل)[٥٦]. أي: إنّ الله تعالى لم يخلف عهداً في الماضي، ولن يخلف عهده مهما بقي الدهر. إذن فهذه النتيجة تؤكّد إنكار أن يكون لليهود عهد من الله تعالى في البقاء في العذاب أياماً معدودة.

وفي الوقت نفسه هي زيادة في تأكيد كذب افترائهم؛ لتنبيههم لشناعة هذا الفعل وما يترتّب عليه، ومن ثَمَّ يعقبه بدليل آخر أو حجّة أخرى أقوى من سابقتها تؤكد وتبيّن حقيقة هذا القول لتكون حجّة أُخرى، فسألهم قائلاً: {أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} البقرة: ٨٠، فأداة الاستفهام (أم) جاءت منقطعة بمعنى (بل) التي تفيد الإضراب والانتقال، أي انتقال الاستفهام الأوّل الذي كان غرضه إنكار الله تعالى لفعلهم وتوبيخهم عليه، إلى استفهامٍ يقرّرهم به، فيثبت فيه أنّهم قالوا على الله تعالى ما لا يعلمون. فيكون الاستفهام الثّاني أقوى أثراً في دحض كذب اليهود، وأشدَّ توبيخاً وتسفيهاً لعقولهم؛ لتدّعي مثل هذا الادّعاء.

ثمّ يزيد في تأكيد افترائهم بحجّة ثالثة أقوى من سابقتها، وهي تمثّل تفسيراً وتبييناً لكذبهم، فيقول تعالى: {بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} البقرة: ٨١، أي: من عمل مثل عملكم، وكفر بمثل ما كفرتم به، حتّى يحيط كفره بما له من حسنة، فأولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون. و"بلى" هنا أصلها "بل" فزِيد فيها "ألفٌ"؛ ليصلح الوقوف عليها؛ إذ كانت عطفاً ورجوعاً عن جحد، ولتكون – أعني "بلى" – رجوعاً عن الجحد فقط، وإقراراً بالفعل الذي بعد الجُحد، فدلّت "الألف" منها على معنى الإقرار، ودلّ لفظ "بل" على الرجوع عن الجحد[٥٧].

وعليه فإنّ (بل) لها من القوّة الحجاجيّة الكبيرة الأثر في ترسيخ تكذيب الله تعالى لادّعاء اليهود، وفي بيان شناعة فعلهم والتنبّيه عليه، وفي الوقت نفسه فيها تقرير لليهود وغير اليهود أي للناس كافة أنّ العذاب في النار يكون لكلّ من كفر به وكذّب برسله وأحاطت به ذنوبه، فنتيجة كفره الخلود في النّار وليس البقاء أياماً معدودة، ثمّ يعقبها بحجّة رابعة تقوّي أثر هذه الحجّة في النفس بفضل الرابط (الواو) العاطفة التي تربط المعنى المقصود من القول السابق باللاحق، فيقول تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} البقرة: ٨٢ ، أي: والذي آمن بالله تعالى وصدّق رسله وعمل الصالحات، فالجنّة مأواه خالداً فيها. فـ(بل) في الحجّة السابقة جعلت ما جاء بعدها هو الأشدّ قوّة وتأثيراً في نفس

المشركين، وأبلغ توجيهاً، ودفعاً لفعل الطّاعة، والامتثال لأوامر الله تعالى، وجاء الرابط(الواو) ليرسّخ ما أحدثته (بل) من أثر في نفوسهم؛ إذ ربطت بين حال من جاء بكفره، فذاق العذاب وعاش في النّار خالداً فيها، وحال من آمن وعمل صالحاً، فله جنّة النعيم وهو فيها من الخالدين، فهذه التراتبيّة في ترسيخ مقاصد الحجج تدفع السّامع إلى فعل العبوديّة لله تعالى وإنجاز الاعمال الصالحات التي تجعله من أصحاب الجنّة.

٥- الرابط "الفاء" السببيّة:

هي أداة تربط بين الحجة والنتيجة، فهي تكون رابطاً حجاجيّاً حين يكون ما قبلها سبباً لما بعدها[٥٨].

ومثالها في قوله تعالى: {وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤) فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (٤٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)} الحج: ٤٢ - ٤٦.

قد جاء في هذه الآيات حجّة واحدة، ولكنّها كان لها نتائج متعدّدة، وقد ارتبطت هذه الحجّة بالنتيجة بواسطة الرابط "الفاء" السببيّة، ولكن هذه النتائج المتعدّدة التي جاءت في سُلّميّة حجاجيّة تراتبية ارتبطت فيما بينها بروابط مختلفة، وهي" الفاء، والواو، وثمَّ أو، ولكن"، ولكنّ أكثرها الفاء السببيّة.

وإنّ هذه الآيات جاءت عقب آيتين ذُكرتا؛ لتسلية النبيّ "صلّى الله عليه وآله وسلّم" وتثبيت قلبه، وتعزية له على ما يلقاه من عناد قومه وكفرهم، وبأنّ تكذيبهم له ليس ببدع؛ فقد كذّبت أمم قبلهم أنبياءها، وفي الوقت نفسه هي إنذار وتخويف لقومه ولكلّ من يكذّب الرُسل[٥٩]، وقد سردتا نماذج من قصص أقوام الرسل السابقة، وبعد ذلك سرد الله تعالى لنبيّه مصير تلك الأقوام نتيجة لكفرهم بأسلوب استفهاميّ توبيخيّ تقريعيّ؛ لغرض حجاجيّ في تقويّة حضور حال ومصير تلك الأمم؛ يجعل السّامع يستحضر في ذهنه ما آل إليه مصير من كفر بالرسل من الأمم السابقة، فتوجيه سؤال معروفة إجابته لدى الطرفين، يُحدث أثراً أكبر لدى الطرف الآخر من الخطاب؛ فيتنبّه عقله ويتفكّر لبّهُ؛ ليدرك الغايّة من ذلك السؤال، وهي: أن يذعن ويؤمن بالله تعالى؛ حتّى لا يكون مصيره مثل مصير من كفر من قبله، فالسؤال هنا وجّه السّامع للغايّة المقصودة ودفعه إلى الإقرار بوحدانيّة الله تعالى وفعل الطّاعة والعبوديّة له سبحانه بلا شريك.

وقد أدرج الله سبحانه وتعالى هذه الحجّة والنتائج بأسلوب استفهاميّ تدرّجيّ من حيث القوّة والضعف في الأثر الإقناعيّ، رابطاً بينها وبين النتيجة بالرابط (الفاء)؛ ليجعل ما قبلها سبباً أو علّة لِما جاء بعدها ونتيجة له، فهذه النتيجة جاءت بصيغة الاستفهام وأيّ استفهام! فهو استفهام بالأداة (كيف) وما لها من أثر في تنبيه النفس والفكر لإعطاء الجواب الذي سُئل عنه، فـ"كيف" اسم يُسأل به عن الحال[٦٠]، وجاءت بمعنى "على أيّ حال هو"[٦١]، لكنّها في سياق هذه الآية تحمل معنىً أعمق وأوسع من أن تكون تسأل عن الحال فقط؛ بل تتعدّاه؛ لتنبّه الفكر والحسّ معاً؛ ليتدبّر بعمق ووعي شعوريّ وفكريّ لهيأتهم وحالهم حين يأخذهم الله تعالى بالعذاب نتيجة لكفرهم؛ فهذا الأثر الحجاجيّ الذي يحمله مقتضى "كيف" من المعاني الشديدة في وقوع الأثر النفسيّ والعقليّ في إدراك هذه الحقيقة أو النتيجة التي هي حصيلة كفرهم وعنادهم، وقد أردفت بنتائج عدّة تتبعها، وهي جميعها جاءت لسبب واحد، فكانت تمثّل قوّة حجاجيّة ناجعة؛ لإحداث الأثر في تنبّه السّامع وإقناعه وترسيخ أثر تلك الوقائع التي حدثت في نفسه؛ فيخشى المصير نفسه بسبب كفره؛ فيدفعه شدّة ارتباط السبب بالنتيجة إلى الإذعان والتّسلّيم، وفعل ما يكون سبباً لنتيجة أُخرى غير الهلاك، والعذاب، والدمار بسبب الكفر. فجاءت هذه الحجّة مرتبطة بالنتيجة التي عبّر عنها بأُسلوب استفهاميّ؛ لقوّته في

السيطرة على ذهن السّامع وشدّ انتباهه وتوجيهه إلى الوجهة التي يريدها المتكلّم، ومِن ثَمّ دفعه لإنجاز الفعل المقصود وهو الإيمان بالله تعالى وتوحيده. وجاءت هذه الحجّة أي: كفر المشركين وتكذيبهم للنبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مرتبطة بوساطة "الفاء" بنتائج متعدّدة سيقت في تراتبيّة حجاجيّة من حيث قوّة الأثر في عقل وشعور السّامع من الأقوى، فالأكثر قوّة. ويمكن تمثيلها بالسُلّم الحجاجيّ الآتي:

الحجّة أو ح: {وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ} الحج: ٤٢

النتيجة الأولى أو ن١: {فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى} الحج: ٤٢ – ٤٤

ن ٢: {فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ} الحج: ٤٤. الإملاء أي: الإمهال وتأخير الأجل.

ن٣: {ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ} الحج: ٤٤، ثمّ أخذتهم، فـ(ثُمَّ) فيها من التراخي المناسب للإمهال والترتيب في إهلاكهم نتيجة لكفرهم.

ن٤:{فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} الحج: ٤٤، فالتنكير: بمعنى الإنكار والتغيير، حيث أبدلهم بالنعمة محنة، وبالحياة هلاكاً وبالعمارة خراباً، فكيف كان نكير أي: إنكار الله تعالى لِما وقع من تلك الأقوام، وهو الكفر والتكذيب برسلهم، والذي كان ينبغي عليهم ألّا يكفروا ويكذّبوا بالرسل. وهو استفهام تقريريّ يثبت أخذ الله تعالى لتلك الأقوام وهلاكهم، وإنكاريّ؛ لأنّ الله تعالى أخذهم بسبب إنكاره كفرهم وعنادهم[٦٢].

ن٥: {فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (٤٥)} الحج: ٤٥. أي: قرية ساقطة جدرانها وخالية من الوديان وآثار الحياة.

ن ٦: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} الحج: ٤٦، وهو استفهام تقريريّ إنكاريّ، فنفي النفي إثبات بأنّهم ساحوا في الأرض وشاهدوا عاقبة الكافرين قبلهم.

ن ٧: {فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} الحج: ٤٦، فهي نتيجة لترتيب ما بعدها على ما قبلها.

ن٨: {أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} الحج: ٤٦. وهي نتيجة أخرى تتّبع ما قبلها. فهذا الترديد بين القلب في الحجّة السابقة والأُذن في هذه الحجّة دون التعرّض للبصر له أثر بالغ في النفس والعقل ليتنبّه إلى أنّ المقصود منه هو إدراك أنّ التعقّل ومعرفة الخير من الشرّ هو من شأن القلب والأُذن[٦٣].

ن٩: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ} الحج: ٤٦. نتيجة أُخرى، وهي كناية عن نفي ضرر عمى الأبصار إذا كانت القلوب مبصرة.

ن١٠: {وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} الحج: ٤٦. نتيجة أقوى ممّا قبلها؛ فالرابط (لكن) له قوّة حجاجيّة في جعل النتيجة التي تأتي بعده أقوى النتائج؛ فتحقّق الغايّة المقصودة في ترسيخ المعنى في نفس السّامع وتوجيهه لإدراك الحجّة أو السبب الحقيقي لكفرهم، فتكون النتيجة أنّ العمى الحقيقي هو عمى القلب؛ فإن عمى البصر وإن ترتّب عليه حرمان من بعض ملّذات الدنيا إلّا أنّه إذا استقام صاحبه، فلا يضرّه هذا العمى في الآخرة، أمّا عمى القلب، فإن لم يحرم صاحبه من حظوظ الدنيا، فإنّه لا محالة سيكون سبباً للشقاء والعذاب في الآخرة[٦٤].

ن: النهائية: الكفر حدث نتيجة عمى العقول والقلوب، وليس عمى البصر؛ لأنّهم رأوا حال تلك الأمم، فلم يعتبروا.

إذن فعيونهم لم تدرك وتبصر الحقيقة الواضحة، من هلاك تلك القرى والآبار المعطلة والقصور المشيدة التي تركتها تلك الأمم، فيستحضروا تلك الوقائع ويدركوا السبب الحقيقيّ في هلاكهم وحالهم من الكفر بالرُسل، وهي حالكم نفسها.

وعليه فإنّ نتيجة تكذيب الكافرين للنبيّ هي بسبب عمى عقولهم وقلوبهم وهو داهية الدواهي وسبب الهلاك؛ لأنّ أعمى البصر إذا كان بصير العقل والقلب لا يضيره من عمى بصره شيء عند الله تعالى، وهذه النتيجة هي أقوى النتائج التي أدرجت؛ لِما تحمله من القوّة الحجاجيّة في إقناع السّامع على إعمال عقله وتنبيهه من الغفلة قبل فوات الأوان؛ ليدّارك نفسه فيمن يستحقّ العبوديّة والتوحيد؛

فيعبده حقّ عبادته ويترك عبادة الأوثان.

٦- الرابط "ثمّ":

هي مثل "الفاء" تربط بين الحجج والنتائج إلّا أنّها أكثر تراخياً[٦٥]. وهي ترد لغرض التوكيد والتنبيه لِما سيأتي بعدها. ومثاله ما جاء في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} الزمر: ٢١.

جاءت هذه الآية عقب قوله تعالى: {أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (١٩) لٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ} الزمر: ١٩ - ٢٠، وهي شديدة الارتباط بها؛ لأنّ فيها سوقاً لآيات الله عزّ وجلّ فيما يراه الناس من رحلة الماء الطاهر الذي ينزله الله تعالى من السماء إلى الأرض، فيستقرّ فيها جداول وأنهاراً وبحوراً ومحيطات؛ ليكون قريب التناول بين أيدي عباده، وينتفعوا به في أغراض شتّى في حياتهم، ثمّ يكون هذا الماء سبباً في إنبات النبات مختلف الثمار والألوان، ثمّ يقوى هذا النبت والزرع ويشتدّ، ثمّ تأخذ ألوانه في الميل إلى الاصفرار في نهاية دورته بما فيها من منافع لا تحصى، ثمّ يغدو هشيماً وقد نَعِمَ به الناس، وها هي ذي الأرض تخلو منه؛ لكي تستقبل دورة أُخرى من الإنبات[٦٦].

فهذه الدلائل والبراهين على وجود الله تعالى عبّر عنها بأسلوب استفهاميّ تقريريّ لغايّة حجاجيّة عميقة الأثر في النفوس والعقول معاً؛ فهو تقريرهم بما يرونه بعيونهم وعقولهم معاً؛ فيتفكّرون ويتدبّرون بواهب تلك النِعم، وكيف يمكنه أن يسلبها منهم، فكيف تكون حياتهم إذن،؟! فيدفعهم ذلك إلى الإيمان به وطاعته سبحانه وتعالى.

وقد ربط بين تلك الحجج أو الحقائق بروابط حجاجيّة مناسبة لطبيعة الحجّة التي جاءت معها بسُلّم حجاجيّ يتناسب مع ارتباط الحجّة بالنتيجة.

فالحجّة الأوّلى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ} الزمر: ٢١، هنا ربط بين إنزال الماء وسلكه في ينابيع الأرض بالرابط (الفاء)، وهو ترتيب السلك على الإنزال وفيه تصوير رائع ودقيق للواقع المحسوس الذي يألفه الناس في حياتهم.

ثمّ جاء بالدليل الذي بعده كحجّة ثانية وهو:{ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ} الزمر: ٢١، فإخراج الزرع مقترنا بالرابط (ثُمَّ)؛ لِما له من نكتة حجاجيّة في إفادة التراخي الزمنيّ بين إنزال الماء وإخراج الزرع؛ فأدّت (ثُمَّ) وظيفة إقناعيّة؛ في إبقاء إرادة الترتيب فيها؛ لذا جاءت كذلك مع الحجّة الثّالثة التي بعدها بقوله تعالى:{ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا} الزمر: ٢١ ، ثمّ حجّة رابعة بقوله تعالى: {ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا} الزمر: ٢١.

فهذه الحجج أو الأدلّة جاءت مرتبطة مع بعضها بالرابط (ثُمَّ)، فهو ليس عطف مفردات، بل هو عطف مراحل زمنيّة متباعدة، لكنّها مرتّبة ترتيباً حجاجيّاً يبيّن مراحل إنبات الزرع وإخراجه، ثُمّ هيجانه أي: حركته إذا نضج كالقمح والشعير؛ فتجفّ أعوادها وتخفّ، فتحرّكها الرياح حركات تشبه هياج الهائج من ذوي الحياة، ويقوّي هذا الفهم قوله تعالى: {فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا} الزمر: ٢١، فالعطف بـ(الفاء) يفيد أنّ رؤية الزرع مصفراً مقارنة لحالة الهياج، ثُمّ يجعله حطاماً، والحطام: فتات التبن والحشيش، والحطام: الدارس المتكسر من أعواد الزرع بعد حصده واستخراج ثماره، فهذه المراحل المتدرّجة لحياة الزرع من المبدأ إلى المصير وهو الحطام، كلّها من الله سبحانه[٦٧].

فتكون هذه الحقائق والأدلّة كافية لتكون النتيجة هي: اعتبار ذوي الألباب الراجحة والعقول الواعيّة؛ فهذه الأدلّة سيقت باستفهام تقريريّ؛ للتعريض بأهل الكفر بسفههم وذهاب عقولهم عن إدراك مثل هذه الحقائق الواضحة، فلو كان الله تعالى قد أمسك هذا الماء النازل من السماء، فجفتّ الأنهار والمحيطات، فهل هناك حياة تنمو وتستمر لجميع المخلوقات؟! أو

تنقرض ويكون البشر أوّل الهالكين؟[٦٨].

إذن فسؤال الله تعالى للناس عن تلك الحقائق غرضه أن يجعلها ماثلة أمام عيونهم؛ لتزيد في إيمان المؤمنين، ولتنبّه وتوجّه وتهدي الكافرين الضالّين؛ ولإقامة الحجّة على المعاندين، فالله تعالى لا يريد ظلماً لعباده أجمعين.

الخاتمة:

في ختام البحث نشير إلى أهمّ النتائج التي توصّلت إليها الدراسة، وتتمثّل بما يأتي:

١- إنّ البناء الهيكليّ للسُلّم الحجاجيّ يقوم على عدّة حجج، متفاوتة في قوّتها الحجاجيّة، وذات علاقة تسلسليّة؛ لتؤدّي إلى نتيجة معيّنة، قد تكون ظاهرةً وقد تكون مُضمَرةً يستنبطها المتلقّي من سياق الحجج التي أُلقيت عليه؛ وعليه فقد كانت السلالم الحجاجيّة من أهمّ آليات الإقناع التي تؤدّي إلى بيان مقاصد الآيات القرآنيّة وإحداث الأثر المطلوب في نفوس السّامعين وشدّ انتباههم وترسيخ المعنى المقصود في أذهانهم؛ لدفعهم إلى العمل به وامتثاله.

٢- أوضحت الدراسة أهمية أسلوب الاستفهام في فاعلية الحجج الإقناعية وترتيبها في درجات متفاوتة من الضعف والقوة في شدّ الأذهان وتنبيه العقل لِما يلقى عليه من الحجج؛ لفاعلية السؤال في تحريك الفكر وتنبيه العقل لِما يُلقى ويطرح عليه من أفكار.

٣- لم نذكر في الدراسة أمثلة تطبيقية لقانون تبديل السّلم، وقانون القلب، وذكرت الدراسة أمثلة لقانون الخفض فحسب؛ وذلك - بحسب بحثنا - لخلوّ أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم من هذا النمط من القوانين.

٤- أوضحت الدراسة تمكّن الخطاب القرآنيّ من توليد الأسئلة أو الحجج وبنائها وصياغتها وإدراجها في تراتبيّة سُلّميّة في قوّة الأثر الحجاجيّ؛ لتنقض رأي الطرف الآخر المعاند والمُشكّك في حقيقتها، فلا سبيل له في ردّها. وبعد تفكير السّامع بِما ألقي إليه من الأسئلة وإعمال عقله وإنصات فكره بكلّ عناية لِما سُئل عنه؛ يقوم بقياس ما عنده من إجابة عمّا سُئل عنه وما يطرحه السائل من أدلّة ومدى منطقيّتها وعقلانيّتها التي قد تدفعه لأنّ يكون جوابه هو توجيه أسئلة عدّة إلى الطرف الآخر؛ كي يصل إلى الإجابة المقصودة بنفسه، فيتحقّق الإقناع الراسخ الذي لا يتغيّر أبداً؛ لأنّه جاء بعد إعمال العقل والتفكّر بكلّ ما أُلقي إليه من حجج ويتمثّل هذا الإقناع بعمليّة التغيير فيما اعتقده السّامع مُسبقاً أو تعزيز المواقف أو السلوك أو المُعتقد الذي يُدافع عنه بتلك الأسئلة التي أُثيرت، فتتحقّق الغايّة المقصودة منها، وهذا هو هدف العمليّة أو العلاقة الحجاجيّة القائمة بين الطرفين "السائل والمسؤول".

٥- أوضحت الدراسة أنّ السُلّميّة الحجاجيّة في ترتيب الأسئلة في الخطاب القرآنيّ موجّهةٌ للناس جميعاً وليس لِمن وُجِّه له السؤال آنذاك فقط، بل هي أسئلة كونيّة للبشر كافّة على اختلاف وعيهم وإدراكهم العقليّ وتباين عقائدهم الفاسدة، فجاءت تخاطب العقول والقلوب لتتنبّه وتتدبّر ما يُطرح عليها وما فيه الحقّ والنفع والنجاة لهم جميعاً بِما تضمَّنته من أدلّة عقليّة ومنطقيّة وواقعيّة تحقّق الإقناع.

٦- أوضحت الدراسة أهمية الروابط الحجاجية في سلّمية الإقناع الحجاجيّ من حيث تراتب الحجج من الضعف إلى القوّة أو الخلاف وذلك بِما تحمله من معاني تحقّق الإقناع والإذعان لدى السّامع.

الهوامش:

١- ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ص ٢٧٣.

٢- ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ص ٢٧٤-٢٧٥.

٣- ينظر: المصدر نفسه: ص ٢٧٥.

٤- السلالم الحجاجية في القصص القرآني: ص ٩٣.

٥- ينظر: المصدر نفسه: ص ٩٤.

٦- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ص ٢٧٧.

٧- ينظر: نظرية الحجاج في اللغة (بحث):ص ٣٦٠.

٨- ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ص ٢٧٥.

٩- ينظر: اللسان والميزان والتكوثر العقلي: ص ٢٧٩.

١٠- ينظر: نظرية الحجاج في اللغة (بحث):ص ٣٦٤.

١١- ينظر: الخطاب والحجاج: ص ٢١.

١٢- ينظر: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية: ص ٩٥.

١٣- ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته:٢/ ٢٩١.

١٤- ينظر: اللغة والحجاج:ص ٨٨.

١٥- الحجاج والمعنى الحجاجي(بحث) في ضمن: كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته: ص ٥٩.

١٦- ينظر: بلاغة الإقناع ي المناظرة: ص ١٠١

١٧- ينظر: التداولية والحجاج: صابر الحباشة: ص ٢١.

١٨- ينظر: اللغة والحجاج: ص ٢٠.

١٩- ينظر: التداولية والحجاج: ص ٢١.

٢٠- ينظر: الحجاج في اللغة: ص ١٨.

٢١- ينظر: الحجاج في النصّ القرآني "سورة الأنبياء أنموذجا": رسالة ماجستير: ص١٥٠.

٢٢- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ص ٢٧٦.

٢٣- ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ص ١٠٥.

٢٤- ينظر: بلاغة الإقناع في المناظرة: ص ١٠٢.

٢٥- ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة: ص ١٩٥.

٢٦- ينظر: الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو: (بحث):ص ٢٣١.

٢٧- ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ص٢٧٧.

٢٨- ينظر: الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو: (بحث): ص٢٣١.

٢٩- ينظر: نظرية الحجاج في اللغة (بحث):ص ٣٦٨.

٣٠- استراتيجيات الخطاب: ص ٥٠٣.

٣١- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ص ٢٧٨.

٣٢- المصدر نفسه: ص ٢٧٨.

٣٣- ينظر: آليات الحجاج وأدواته (بحث) في ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته:١/١١١.

٣٤- ينظر: اللغة والحجاج: ص٢١.

٣٥- ينظر: بلاغة الإقناع في المناظرة: ص ١٠٠.

٣٦- ينظر: Anscomber, et O,Ducrot,... pp,...٨-٩, نقلا عن: بلاغة الإقناع في المناظرة: ص ١٠٠.

٣٧- ينظر: اللغة والحجاج : ص ٢٧.

٣٨- ينظر: مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لديكرو وانسكومبر(بحث): ص ٢٢٠.

٣٩- ينظر: الحجاج في كتاب تحف العقول عن ال الرسول لابن شعبة الحراني: ص ١٧٧

٤٠- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: للطبرسيّ, ٨/ ٢٩٨ , وينظر: الكشّاف: ٤/٩١, وينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٧/ ٢٥٢.

٤١- ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح: ٢/ ٨٤١. ومعاني النحو: ٣/ ٢٣٧.

٤٢- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: للطبرسيّ, ٩/٣٠١-٣٠٢, وينظر: الكشّاف: ٤/ ٣٥٧, وينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٩/ ١٦٣ – ١٦٤. وينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم: ٤/ ٢٣٣ – ٢٣٤.

٤٣- ينظر: Deborab Schiffrin, Discourse markers, Cambridge University press,pp.١٥٢-١٥٣, نقلا عن: الحجاج مفهومه ومجالاته:١/١٠٤.

٤٤- ينظر: مقاربة تداولية لحكمة عطائية (بحث):عزّ الدين الناجح, مجلة الخطاب: ٣٣.

٤٥- ينظر: استراتيجيات الخطاب:٤٧٢.

٤٦- ينظر: الحجاج في كتاب تحف العقول عن آل الرسول لابن شعبة الحراني: ص ١١٣.

٤٧- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: للطبرسيّ, ٨/ ١٦٢, وينظر: الكشّاف: ٣/ ٤٤٠,وينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٦/ ٣٧٥.

٤٨- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: للطبرسيّ, ٨/ ١٦٢, وينظر: الكشّاف: ٣/ ٤٤٠, وينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٦/ ٣٧٦.

٤٩- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: للطبرسيّ, ٨/ ١٦٢-١٦٣, وينظر: الكشّاف: ٤٤٠/٣, وينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٦/ ٣٧٦.

٥٠- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: للطبرسيّ, ٨/ ١٦٣, وينظر: الكشّاف: ٤٤٠/٣, وينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٦/ ٣٧٦, وينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم: ٣/ ٢٨٩.

٥١- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: للطبرسيّ, ٨/ ١٦٦-١٦٧, وينظر: الكشّاف: ٤٤٤/٣, وينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٦/ ٣٨٨, وينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم: ٣/ ٢٩٤.

٥٢- ينظر: اللغة والحجاج: ص ٦٣.

٥٣- ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح, ٢/ ٩٤٦.

٥٤- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: للطبرسيّ, ٨/ ٢٠١ وينظر: الكشّاف: ١/ ١٢١-١٢٢, وينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١/ ٢١١-٢١٢, و ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم: ١/ ٧٥.

٥٥- دلالات التراكيب: ص:٢٢٦.

٥٦- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم: ١/ ٧٨.

٥٧- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: للطبرسيّ, ٢٠١/١- ٢٠٢, وينظر: الكشّاف: ١٢٢/١, وينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١/ ٢١٤.

٥٨- ينظر: معاني النحو: ٣/ ٢٢٩.

٥٩- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: للطبرسيّ, ٧/ ١١٦, وينظر: الكشّاف: ١٢٣/٣, وينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٤/ ٣٨٩.

٦٠- ينظر: المقتضب: لأبي العباس بن يزيد المبرّد(ت٢٨٥هـ): ٢٨٩/٣.

٦١- ينظر: شرح المفصل:لأبن يعيش: ١٠٩/٤.

٦٢- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: للطبرسيّ, ١١٦/٧-١١٧, وينظر: الكشّاف/ ١٢٣/٣, وينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٤/ ٣٨٩.

٦٣- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: للطبرسيّ, ١١٧/٧, وينظر: الكشّاف: ٣/ ١٢٤, وينظر: المصدر نفسه: ١٤/ ٣٩٠.

٦٤- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: للطبرسيّ, ١١٧/٧, وينظر: الكشّاف: ١٢٤/٣, وينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٤/ ٣٩١, و ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم: ٣٩٣/٢ – ٣٩٨.

٦٥- ينظر: معاني النحو: ٣/ ٢٣٢.

٦٦- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: للطبرسيّ, ٢٩٧/٨, وينظر: الكشّاف: ٤/ ٩١, وينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٧/ ٢٥٥, وينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم: ٣/ ٤١٩.

٦٧- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: للطبرسيّ, ٨/ ٢٩٨-٢٩٩, وينظر: الكشّاف: ٤/ ٩١-٩٢, وينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٧/ ٢٥٥, وينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم: ٣/ ٤١٩.

٦٨- ينظر: الكشّاف: ٩١/٤-٩٢, وينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٧/ ٢٥٥, وينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم: ٣/ ٤١٩.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
١- استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغويّة تداوليّة: عبد الهادي بن ظافر الشهريّ، ط١، دار الكتب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ٢٠٠٤م.
٢- أهمّ نظريّات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم: فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمّود، منشورات كلية الآداب – منّوبة، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانيّة، تونس(د-ت).
٣- بلاغة الإقناع في المناظرة: د. عبد اللطيف عادل، ط١، طبع ونشر وتوزيع: دار ومكتبة عدنان – بغداد- شارع المتنبي، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
٤- التَّحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه: تنسيق حمّو النَّقاريّ، ط١، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بالرباط، المملكة المغربيّة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٥- التداوليّة والحجاج مداخل ونصوص: صابر حباشة، صفحات للدراسات والنشر، دمشق – سورية، ط١، ٢٠٠٨م.
٦- التفسير البلاغيّ للاستفهام في القرآن الحكيم: د. عبد العظيم إبراهيم المطعنيّ، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط٣، ٢٠١١م.
٧- الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم الأمين، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
٨- الحجاج في النصّ القرآني "سورة الأنبياء إنموذجا" (رسالة ماجستير): إيمان درنوني، إشراف: د. الجودي مرداسي، كلية الآداب واللغات- قسم اللغة العربيّة وآدابها، جامعة الحاج لخضر – باتنة، الجزائر، السنة الجامعية ٢٠١٢م – ٢٠١٣م.
٩- الحجاج في تحف العقول لابن شعبة الحرّانيّ(ت٣٨١هـ): وسن هاشم عودة، دار ومكتبة عدنان، العراق – بغداد، الطبعة الأوّلى لسنة ٢٠٢١م.
١٠- الحجاج مفهومه ومجالاته: د. حافظ إسماعيل علوي، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
١١- الخطاب والحجاج: د. أبو بكر العزاويّ: مؤسّسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٠م.
١٢- دلالات التراكيب- دَراسَة بلاغيّة-: د. محمّد محمّد أبو موسى، الناشر: مكتبة وهبة، دار التضامن. الطبعة الثّانية ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.
١٣- السلالم الحجاجيّة في القصص القرآنيّ (أطروحة): بوسلاح فايزة، إشراف: د. بن عيسى عبد الحليم، جامعة وهران أحمد بن بلة، كلية الآداب، الجزائر، السنة الجامعيّة ٢٠١٤ – ٢٠١٥.
١٤- شرح المفصل: موفق الدّين يعيش بن علي بن يعيش النحويّ (ت٦٤٣هـ)، (د-ط)، عالم الكتب، بيروت، (د-ت).
١٥- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للإمام محمد بن عمر الزمخشري ت(٥٢٨هـ)، ضبط وتوثيق: أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأوّلى، لسنة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٦- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: د. طه عبد الرحمن، ط٣، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء- المغرب، ٢٠٠٧م.
١٧- اللسان والميزان أو التكوثر العقليّ: د. طه عبد الرحمن، ط١، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، بيروت، ١٩٩٨م.
١٨- اللغة والحجاج: د. أبو بكر العزاويّ، العمدة في الطبع، ط١، ٢٠٠٦، الدار البيضاء – المغرب.
١٩- معاني النحو: فاضل صالح السامرائيّ، مطبعة التعليم العالي، الموصل، ١٩٨٩م.
٢٠- المقتصد في شرح الإيضاح: عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تح: د كاظم بحر المرجان، المطبعة الوطنية، عمان، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م.
٢١- مجمع البيان في تفسير القرآن: تأليف أمين الإسلام أبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ من أعلام القرن السادس الهجري، دار العلوم للتحقيق والطباعة

والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأوّلى السنة ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.
٢٢- المقتضب: أبو العباس محمَّد بن يزيد المبِّرد، (ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمّد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلاميّ، القاهرة، ١٩٩٤م-١٤١٥هـ
٢٣- الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمّد حسين الطباطبائيّ (ت ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م)، منشورات مؤسّسة الأعلى للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
٢٤- النظريّة الحجاجيّة من خلال الدراسات البلاغيّة والمنطقيّة واللسانيّة: محمّد طروس، دار الناشر الثقافيّة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥م.

- الدوريات:

- مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيّات اللسانية لأنسكومبر وديكرو(بحث): رشيد الراضيّ، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد الثّاني، المجلد/٤٠ لسنة ٢٠١١م.
- مقاربة تداولية لحكمة عطائية (بحث): د. عز الدين الناجح، مجلة خطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب جامعة مولود معمري – تيزي وزو، الجزائر، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، العدد الثالث ٢٠٠٨.